الباب الثامن
الهدم

سيول الكعبة :

أخرج الأزرقي بعد أن ساق رواته قال: كانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بني شيبة الكبير قبل أن يردم عمر الردم الأعلى، فكانت السيول ربما رفعت المقام عن موضعه وربما حركته إلى وجه الكعبة حتى جاء سيل أم نهشل في خلافة عمر بن الخطاب، فاحتمل المقام من موضعه فذهب به حتى وجد بأسفل مكة، فأتي به فربط إلى أستار الكعبة، وكتب في ذلك إلى عمر، فأقبل فزعاً في شهر رمضان وقد عفى موضعه وعفاه السيل، فدعا عمر بالناس فقال: أنشد الله عبداً لده علم في هذا المقام.

فقال المطلب بن أبي وداعة: أنا يا أمير المؤمنين عندي ذلك، قد كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه إلى الركن، ومن موضعه إلى باب الحجر، ومن موضعه إلى زمزم بمقاط وهو عندي في البيت.

فقال له عمر: فاجلس عندي وأرسل إليه فجلس عنده وأرسل فأتي بها، فمدها فوجدها مستوية إلى موضعه هذا، فسأل الناس وشاورهم فقالوا: نعم، هذا موضعه.

فلما تثبت ذلك عمر وحق عنده أمر به، فأعلم ببناء ربضه تحت المقام ثم حوله، فهو في مكانه هذا إلى اليوم وقد بلغت السيول التي أحاطت

بالكعبة المشرفة خمسة وثمانين سيلاً مات فيها خلق كثير من الحجاج وأهل مكة ، ومن الطرائف أن الماء كان عندما يحاصر الكعبة كان بعض الحجاج يطوفون سباحة وكان منهم الخليفة عبد الله بن الزبير العدوان على الكعبة:

إن أكبر عدوان وقع على الكعبة كان إدخال عبادة الأصنام فيها وتحريف دين إبراهيم عليه السلام ، والذي أدخل الأصنام عمرو بن لحي وكان سيداً مطاعاً جواداً كريماً له مكانه كبيره في نفوس العرب وهو أول من أطعم الحجاج اللحم ووهب لهم الكساوي ،وقد جلب صنم هبل من الشام وأدخله في جوف الكعبة وجعل له السدنة وقال النبي (ص) : رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق يجر قصبه في النار ، والقصب هي الأمعاء ومن العدوان الظلم الذي وقع من قبيلة جرهم إلى الحد الذي جعل أحدهم يزني في الكعبة فمسخهم الله تعالى إلى حجرين هما أساف ونائلة وقد عبدا من بعد ، وعندما تفشى ظلم جرهم نضبت ماء زمزم وعمد أحد صالحيهم إلى كنوز الكعبة فدفنها في بئر زمزم حتى حفرها عبد المطلب ووجدها في القصة المشهورة .

ومن العدوان على الكعبة أن القرامطة من فرقة الإسماعيلية، لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر وبقيادة أبو طاهر القرمطي ، هاجموا المسجد الحرام يوم التروية فقتلوا ألف وتسعمائة من الحجيج في وسط المسجد حول الكعبة وكسروا الحجر الأسود ومن العدوان السرقات المتكررة لبيت الله الحرام ويقال إن أول من قطعت قريش يده في الجاهلية رجلاً يقال له دويك مولى لبني

عليج بن عمرو بن خزاعة لأنه سرق كنز الكعبة المشرفة، فحكموا عليه بالقطع ، وقالوا إن جريمة السرقة أكبر منه ولا شك أن معه مشاركين من جهات أخرى .

محاولة هدم الكعبة:

لاتذكر الكعبة قديماً إلا ويذكر معها المحاولة الخبيثة التى قام بها اللعين أبرهة لهدمها كان أبرهة عاملاً للنجاشى على اليمن ، فبنى بها كنيسة ، وبالغ فى الإنفاق عليها ، وحاول أن يصرف العرب عن الحج إليها ، ولكنه كان قاصر الفكر إذ ظن أن المبالغة فى الإنفاق عليها هو الذى يلفت نظر الناس عن الكعبة إليها ، وجهل هذا الفاسق ما للكعبة من مكانة فى النفوس حتى لو كانت بضعة أحجار .

سبب محاولة أبرهة تخريب الكعبة:

ذكر السهيلي أن أبرهة استذل أهل اليمن ،في بناء هذه الكنيسة الخسيسة ، وسخرهم فيها أنواعًا من السخرة وكان من تأخر عن العمل حتى تطلع الشمس يقطع يده لا محالة وجعل ينقل إليها من قصر بلقيس رخاما وأحجارا وأمتعة عظيمة وركب فيها صلبانا من ذهب وفضة وجعل فيها منابر من عاج وأبنوس، وجعل إرتفاعها عظيمًا جدًا ، واتساعها باهرًا ، فلما هلك بعد ذلك أبرهة ، وتفرقت الحبشة كان من يتعرض لأخذ شيء من بنائها وأمتعتها أصابته الجن بسوء وذلك لأنها كانت مبنية على اسم صنمين كعيب وامرأته ، وكان طول كل منهما ستون ذراعاً، فتركها أهل اليمن على حالها فلم تزل كذلك إلى زمن

السفاح ، أول خلفاء بني العباس، فبعث إليها جماعة من أهل العزم والحزم والعلم فنقضوها حجرًا حجرًا واختفت ودرست آثارها إلى يومنا هذا.

قال ابن اسحاق:- فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النساة من كنانة الذين ينسئون شهر الحرام إلى الحل بمكة أيام الموسم ، فخرج الكناني حتى أتى القليس اسم الكنيسة اللعينة ، فغاط فيها حيث لا يراه أحد ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك فقال من صنع هذا ؟!فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجه العرب بمكة لما سمع بقولك أنك تريد أن تصرف حج العرب إلى بيتك هذا ، فغضب فجاء أي أنه ليس لذلك بأهل فغضب أبرهة عند ذلك وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة[1].

فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام ، فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام ، وما يريده من هدمه وتخريبه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فأتى به أسيراً ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر يا أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك

1) البداية والنهاية جزء 2 - ص 170

من القتل، فتركه ولم يقتله وحبسه عنده في وثاق ، ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم تعرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم ، وهما شهران وناهس ،ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً فأتى به فلما هم بقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلني فأني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى إذا مر بالطائف ، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فقالوا له أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات إنما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم .

قال ابن اسحاق واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة قال فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله بالمغمس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس .

قال ابن اسحاق فلما نزل أبرهة بالمغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مفصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش ، وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ، ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك وبعث أبرهة حناطة الحميري

إلى مكة ، وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد ،وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن هو لم يرد حربي فائتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ، فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، فإن يمنعه منه فهو حرمه وبيته ، وان يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ،ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر، وكان له صديقا حتى دخل عليه ، وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا ، فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ، ما عندي غناء في شيء مما نزل بك ، إلا أن أنيساً سانس الفيل صديق لي فسأرسل إليه ، وأوصيه بك وأعظم عليه حقك ، وأساله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك ، فقال حسبي فبعث ذو نفر إلى أنيس [1] فقال له إن عبد المطلب سيد قريش ، وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه ، وأنفعه عنده بما استطعت قال أفعل فكلم أنيس أبرهة ، فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عين مكة ، وهو الذي يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال، فائذن له عليك فليكلمك في حاجته ، فأذن له أبرهة قال وكان عبد المطلب أوسم

الناس ، وأعظمهم وأجملهم ، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جانبه ،ثم قال لترجمانه قل له حاجتك ، فقال له الترجمان ذلك ، فقال حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك جئت لأهدمه ، لا تكلمني فيه ، فقال له عبد المطلب إني أنا رب الإبل ،وإن للبيت رباً سيمنعه ، فقال ما كان ليمتنع مني ، قال أنت وذاك فرد على عبد المطلب إبله .

قال ابن اسحاق ويقال إنه كان قد دخل مع عبد المطلب على أبرهة يعمر بن نفاثة سيد بني بكر وخويلد بن وائلة سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم ذلك فالله أعلم أكان ذلك أم لا ؟ فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في رؤوس الجبال ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ،وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة ، وجنده وقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :-

---

1) البداية والنهاية جزء 2 - ص 171

لا هم إن العبد يمنع رحلـه فامنع رحالك

لا يغلبن صليبـهم ومحالهم غدوا محالك

إن كنت تاركـهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

قال ابن هشام هذا ما صح له منها يعنى لعبد المطلب .

وقال ابن اسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال يتحرزون فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ،وهيأ فيله وعبأ جيشه ،وكان اسم الفيل محموداً ، فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال أبرك محمود وارجع راشداً من حيث أتيت ، فإنك في بلد الله الحرام، وأرسل أذنه فبرك الفيل .

وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة ،فبرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر،أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجرين في رجليه أمثال الحمص والعدس ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي جاءوا منها ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن

قال ابن اسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل و.أصيب أبر هة في جسده و.خرجوا. به معهم يسقط قطعة قطعة كلما سقطت قطعه خرج منها مدة وقيحًا ودمًا ،حتى وصلوا به صنعاء[1] وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انشق صدره عن قلبه فيما يزعمون ولم ترى الحصبة والجدري بأرض العرب قبل ذلك العام وأنه أول ما رؤى بها الشجر المر الحرمل ،والحنظل والعشر، ذلك العام أيضاً.

وقال ابن أبي حاتم لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجرا في منقاره قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل الا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة قال ابن اسحاق وليس كلهم اصابته الحجارة بل رجع منهم راجعون إلى اليمن حتى أخبروا أهلهم بما حل بقومهم من النكال وروى ابن اسحاق قال حدثني عبدالله بن أبي بكر عن سمرة عن عائشة قالت، لقد رأيت قائدالفيل، وسائسه بمكة، أعميين مقعدين يستطعمان فالله أعلم.[1]

---

1) البداية والنهاية جزء 2 – ص 172 ، 173

محاولة لتدمير قريش

خرج زيد بن عمرو بن نفيل إلى الشام هو وورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وعبيد الله بن جحش فتنصروا إلا زيدًا فإنه لم يدخل في شيء من الأديان بل بقي على فطرته من عبادة الله وحده لا شريك له متبعاً ما أمكنه من دين إبراهيم وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر وله خبر عجيب ذكره الأموي ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكى إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فعزم على ذلك فكبت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك لما رأوا من عظمة مكة وكيف فعل الله بأصحاب الفيل فكساه ابن جفنة قميصاً مصبوغًا مسموماً فمات من سمه فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر [1].

هدم الكعبة في آخر الزمان

سبحان من له الدوام فقد كتب على كل شئ الفناء ولا يبقى الا من ليس له اول وليس له آخر والكعبة برغم مكانتها فى قلوب المسلمين وبرغم عظمتها فانها مكتوب عليها الفناء أيضاً والأحاديث الدالة على هدمها متواترة عن الرواة وفى الصحيحين وبعد أن بنى الحجاج الكعبة بأمر أمير المؤمنين كره بعض العلماء أن يغير البناء عن حاله كما ذكر عن أمير المؤمنين هارون

---

[1] البداية والنهاية جزء 2 - ص 174

الرشيد أو أبيه المهدي أنه سأل الإمام مالكاً عن هدم الكعبة وردها إلى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا تجعل كعبة الله لعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها فترك ذلك الرشيد نقله عياض والنووي ولا تزال - والله أعلم - هكذا إلى آخر الزمان إلى أن يخربها ذو السويقتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفى رواية أخرى للبخارى عن ابن عباس عن النبي ρ كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعوله وهذا والله أعلم إنما يكون بعد خروج يأجوج ومأجوج لما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ص [ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج]

1) البداية والنهاية جزء 2 - ص 243

obeikandl.com

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع:

1- البداية والنهاية – ابن كثير.

2- تاريخ الرسل والملوك – ابن جرير الطبرى.

3- تاريخ الخلفاء- جلال الدين السيوطى.

4- تفسير الصنعانى .

5- تفسير القرطبى.

6- مصنف عبد الرزاق.

7- تفسير أبى السعود.

8- سيرة ابن كثير.

9- فضائل الصحابة .

10- مختصر سيرة الرسول.

11- التحرير والتنوير .

12- سيرة ابن اسحق.

13- دلائل النبوة – الأصبهانى.

14- سيرة ابن هشام.

15- الروض الآنف .

16- روح المعانى.

17- مختصر سيرة الرسول.

18- الدر المنثور .

obeikandl.com

19- التحرير والتنوير.
20- الكامل لابن الأثير.
21- الكامل للمبرد.
22- مع الأوائل – أسامة عبد الرحمن.
23- المعجم الكبير.
24- دلائل النبوة – الصنعانى.

obeikandl.com